المبحث الثاني
الدروس والعبر المستفادة من
سرية عبد الله بن أُنَيْس ﷺ لقتل خالد الهذلي

١ ـ دقة الرصد الحربي وسرعة اتخاذ القرار:

يقول أ/ فتح الباب: «أقام النبي ﷺ في المدينة بعد عودته الظافرة من غزوة حمراء الأسد، وعودة سرية أبي سلمة بن عبد الأسد ﷺ بعد نجاحها في أداء العملية العسكرية التي أنيطت بها، وقد اجتمع المسلمون حوله يتشاورون في أمرهم مع المشركين في الخارج والمنافقين في الداخل، وكان ﷺ على يقين من ائتمار القبائل المجاورة بالمسلمين برغم ما حققوه من نصر في هذه الغزوة وتلك السرية، فظل ملتزمًا موقف الحذر والترقب، مادًّا بصره عبر الصحراء التي تفصل بين يثرب وما حولها من مواطن الأعراب المتحالفين مع قريش، مشعلًا في حنايا رجاله الروح العسكرية كي يظلوا دائمًا على أهبة الخروج للمعارك ولا يخلدوا إلى دعة السلم ورفاهية الحياة ما دام العدو متربصًا بهم، منتهزًا فرصة غفلة منهم عنه لينقض عليهم.

وفي مقدمة التدابير التي كان يتخذها النبي ﷺ لاتقاء هجوم المشركين بعث طلائع ثورية من أصحابه للاستكشاف، وتقصي أخبار الأعداء، والوقوف على تحركاتهم واستعدادهم، وكان يختار لهذه المهمة مَنْ يتوسم فيهم القدرة على أدائها وتكامل العناصر اللازمة لها من قوة وبصيرة وخبرة، ومَنْ يأنس فيهم الروح الفدائية التي تستهين بالصعاب وتعمل تحت شعار النصر أو الشهادة».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٩٥-٩٦].

ويقول أ/ الشامي: «اتسعت رقعة العداء للرسول ﷺ، وبدأ الشرك ـ والكفر كله ملة واحدة ـ يؤازر أهله بعضهم بعضًا، ولم تعد قريش وحدها في ميدان المعركة، بل أصبح لها من يناصرها ويعاضدها.

إن سرعة اتخاذ القرار التي سلكها الرسول الكريم ﷺ إزاء ما كان يُهيأ له، فوتت على المشركين ما فكروا فيه، فبنو أسد وهم يهيؤون أنفسهم لم يشعروا إلا وخيل رسول الله ﷺ قد دهمتهم، وكان القضاء على خالد بن سفيان قضاء على سبب الجريمة والمخطط لها». [من معين السيرة للشامي ٢٧٩].

ويقول د/ الحميدي: فهذا «موقف للرسول ﷺ في دقة الرصد الحربي والحزم في مواجهة الفتن وقوة الإدراك في سياسة الأمور، وإعداد الحلول المناسبة للمشكلات والأزمات في وقتها الملائم لها، فقد رأينا رسول الله ﷺ في هذا الخبر قد تنبه لتحركات عدو خطير بدأ يجمع الناس حوله لغزو المسلمين، فلم يُمهله حتى يكثر جمعه ويشتد ساعده، بل فكر في القضاء على الفتنة وهي في أيامها الأولى بالقضاء على مصدرها وأساسها، فوجه للقضاء عليها سهمًا من سهامه الصائبة الذين رباهم على يديه ورفعهم الله بدعوته إلى الآفاق العليا.

وهكذا يجب على مَنْ ولاه الله أمرًا من أمور الأمة أن يكون حازمًا في قطع مادة الفتنة وهي لا تزال في مهدها؛ لأنها والحال هذه لا تكلف الأمة تضحيات كبيرة، بخلاف ما إذا استفحل أمرها فإن خطرها يكون كبيرًا والقضاء عليها يكلف الأمة جهودًا كبيرة وخسائر فادحة».

[التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ٢٦].

٢ ـ الهدف المشترك بين سريتي أبي سلمة وابن أنيس ﷺ:

يقول د/ الغضبان: «في الشهر نفسه الذي تم فيه اختيار أبي سلمة بن عبد الأسد ﷺ لمواجهة أسد في أرضهم وباديتهم، وبعد خمسة أيام فقط يتم اختيار عبد الله بن أنيس ﷺ لقتل خالد بن سفيان الهذلي على مشارف مكة، والهدف من السريتين واحد، إذ إن كليهما لضرب تجمعات العدو قبل تحركها، وتفريقها في مهدها، وإذا كان الهدف واحدًا من السريتين، لكن خطة تحقيق الهدف اختلفت اختلافًا جذريًّا لكليهما كذلك، فبينما اقتضى إنهاء جموع بني أسد سرية تحمل نخبة من أكبر القياديين والفدائيين قوامها مائة وخمسون رجلًا، اقتضى إنهاء جموع هذيل، والأحابيش معهما سرية قوامها بطل واحد فقط، هو: عبد الله بن أنيس ﷺ، وفي الوقت الذي حدد فيه ﷺ مهمة السرية الأولى بالإغارة على ديار بني أسد، وتفتيت جموعهم والظفر بنعمهم وشائهم، حدد فيه ﷺ مهمة عبد الله بن أنيس ﷺ بقتل خالد بن سفيان الهذلي فقط، وكلتا الخطتين تحققان الهدف المذكور آنفًا من تفريق تجمعات العدو، وبث الرعب في صفوفه».

[التربية القيادية للغضبان ٣/ ٢٤٠].

٣ ـ أهمية وجود رجال المخابرات الأكفاء:

يقول أ/ فتح الباب: «ومن هذه الطلائع التي عرفت بالحنكة والمقدرة في أعمال الاستخبارات الحربية عبد الله بن أنيس ﷺ، فكان أن وقع عليه اختيار النبي ﷺ للتجسس على خالد بن سفيان بن نُبيح الهذلي، وكان زعيمًا لبني لحيان إحدى بطون قبيلة هذيل، حين بلغه أنه يستعد لغزو المدينة على رأس بعض المشركين، وبادر عبد الله ﷺ إلى الذهاب إلى نخلة أو عرنة حيث كان يقيم خالد، وهناك التقى الرجلان، فقال الذي في نفسه مرض يسأل عبد الله: مَنِ الرجل؟ فأجابه: أنا رجل من العرب سمع بك وبجمعك لمحمد فجاءك لذلك.

وهي إجابة تدل على دهاء رجل المخابرات الحق وقدرته على تضليل العدو، حتى يفضي إليه بسره، ويكشف عن طويته، الأمر الذي تحقق إذ لم ينكر خالد فعلته، فاستدرجه ابن أنيس ﷺ بعيدًا عن نسوة كان يهيئ لهن مكانًا يقمن فيه، ثم وثب عليه وأعمل سيفه في عنقه، وتركه صريعًا لقاء ما بيت من مكيدة للمسلمين، وعاد عبد الله ﷺ إلى المدينة حيث أنبأ النبي ﷺ بالواقعة». [القيم الخلقية لفتح الباب ٩٦].

٤ ـ وأد الفتنة في مكمنها:

يقول ل/ خطاب: «وهكذا استطاع عبد الله ﷺ وحده، ببطولته الفذة، وإقدامه النادر أن يقضى على فتنة الهذلي التي كان يُعدها ويستعد لها، وينهي خططه في حرب الإسلام والمسلمين.

وبهذا تغدى عبد الله ﷺ بالهذلي قبل أن يتعشى الهذلي بالمسلمين، فيجمع لهم الجموع ويخوض ضدهم الحروب ويكبدهم الخسائر بالأرواح والأموال». [قادة النبي ﷺ لخطاب ١٩٠].

ويقول أ/ حوى: «في كثير من الأحيان يكون قتل إنسان وأدًا لفتنة أو إنهاء لحرب أو قضاء على فكرة، وكثيرًا ما تحيا أمم وشعوب وقبائل برجال، وأنت في صراعك مع أعدائك قد تخفف الكثير عن أمتك ودعوتك إذا استطعت أن تقضي على رجل، ورسول الله ﷺ في هذا الشأن لا يُجارى، مع ملاحظة أن ضرباته كلها كانت عادلة ومع محاربين، فهو ﷺ أبعد الناس عن غدر بمعاهد، وأبعد الناس عن اعتداء على مواطن غير مدين شرعًا، فها هو ﷺ لم يمس المنافقين على معرفته بهم، وعلى شدة ما فعلوه به ﷺ، كما أنه لم ينكث عهدًا مع أحد، ولكن المحاربين كان له معهم شأن آخر، وخاصة أولئكم الذين بقتلهم يُجْهَضُ تحرك عسكري، كما فعل بكعب بن الأشرف، وكما فعل بخالد بن سفيان، وكما سيفعل بآخرين ممن سيأتي الحديث عنهم». [الأساس في السنة لحوى ٢/ ٦١٥].

٥ ـ على القيادة اختيار ذوي الكفاءات في تنفيذ المهام:

لقد كان رسول الله ﷺ أعرف البشر بشياطين الفجور في البشر، كما كان أعلم الناس بأصحابه وموازينهم في البطولة، وإقدامهم على الموت في سبيل إعلاء كلمة الله استجابة لرسول الله ﷺ إذا دعاهم لما يحييهم حياة أبدية خالدة. [محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٤/ ٤٥].

لقد كان لدى النبي ﷺ حسن اختيار لذوي الكفاءات حيث كان يختار لكل مهمة من يناسبها، فيختار للقيادة مَنْ يجمع بين سداد الرأي وحسن التصرف والشجاعة، ويختار للدعوة والتعليم مَنْ يجمع بين غزارة العلم ودماثة الخلق والمهارة في اجتذاب الناس، ويختار للوفادة على الملوك والأمراء مَنْ يجمع بين حسن المظهر وفصاحة اللسان وسرعة البديهة، وفي الأعمال الفدائية يختار مَنْ يجمع بين الشجاعة الفائقة وقوة القلب والمقدرة على التحكم في المشاعر.

إن تخير رسول الله ﷺ هذا الصحابي المغوار لهذه المهمة البالغة الصعوبة يعطي دلالة واضحة على معرفته ﷺ الشديدة برجاله، حيث كان يكِل لكل منهم المهمة التي تناسب وضعه وإمكانياته، يعني الرجل المناسب في المهمة المناسبة، وهو عمل قائم على التخطيط السليم، والدقة في الاختيار، وكون رسول الله ﷺ يختار لهذه السرايا بعض رجاله لا يعني بالضرورة أن بقية الصحابة لا يصلحون لهذه المهمات، فهم جميعًا كانوا لا يهابون الموت، بل يتحرقون دائمًا للشهادة في سبيل الله، ولكن المواقف

الحساسة التي تمر بها مثل هذه السرايا تتطلب رجالًا فيهم صفات مميزة كعبد الله بن أُنيس، وعبد الله بن رواحة، وعبد الله بن عتيك، ومحمد بن مسلمة، وعمرو بن أمية وغيرهم، رضوان الله عليهم أجمعين.

وهكذا يختار النبي ﷺ لهذه المهمة عبد الله بن أنيس ﷺ لكونه عالي الشجاعة قوي القلب، وابن أنيس ﷺ يعتبر من شجعان العرب، ومما يدل على قوة قلبه قوله: «**وكنت لا أهاب الرجال**»، وقوله: «**ما فرقت من شيء قط**»، أي أنه لم يكن يشعر بالخوف من أي إنسان إذا قابله ولو كان في غاية الشجاعة والقوة، ولا من أي حيوان وإن كان في غاية الوحشية؛ فلذلك اختاره النبي ﷺ وجعل علامة خالد الهذلي التي يعرفه بها أنه إذا رآه وجد في نفسه قشعريرة منه، يعني من الخوف، وهذا يعني أنه لم يكن يجد ذلك في نفسه من أحد قبله، وإلا لما حصلت له هذه العلامة.

كما أن عبد الله بن أنيس ﷺ كان يتمتع بالمقدرة على التحكم في مشاعره، فهو حينما رأى خالد الهذلي بدا عليه الخوف، والخوف يظهر في اصفرار الوجه، وحينما همَّ بالفتك به لابد أن يكون قد ارتفعت عنده نسبة الغضب إلى حد كبير، والغضب عادة يظهر في اسوداد الوجه، وكلما همَّ الإنسان في الدخول في أمر عظيم ظهر ذلك على تقاسيم وجهه، لكن ابن أنيس ﷺ استطاع كتمان مشاعره، وظهر لذلك الرجل وكأنه لم يشعر نحوه بأي خوف، ثم أقدم على قتله وكأنه لم يظهر عليه شيء من الغضب، وبذلك استطاع أن يلبِّس عليه أمره، وأن يَظهر أمامه بمظهر الرجل الناصح الذي يريد أن يكون تابعًا له ينفذ له أوامره، وبهذه المقدرة الفائقة من ابن أنيس ﷺ على كتمان مشاعره وثق به خالد الهذلي فأمنه ولم يحترز منه.

[السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك ١٥٦، التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ٢٧-٢٨].

وأيضًا من أهم أسباب هذا الاختيار هو أن عبد الله بن أنيس ﷺ يمتاز بمعرفة مواطن تلك القبائل لمجاورتها ديار قومه (جُهَيْنة). **[غزوة الأحزاب لباشميل ٢٧]**.

ويقول د/ الغضبان: «إن ابن أنيس ﷺ لا يحمل تاريخًا عريقًا من الحرب والجهاد والخبرة القتالية، ولا ندري إن كان برز في حرب بعاث أو شارك فيها لكن عظمة القيادة النبوية هي التي تفرست فيه هذه القدرة العظيمة على مثل هذه المهمة، وعلى منهج الخط التربوي الموازي من خلال اختيار الطاقات، لا من خلال بروزها، وكما اختار ﷺ أبا سلمة المهاجر ﷺ، اختار ابن أنيس الأنصاري ﷺ لمهمة مكافئة.

وكانت الفراسة النبوية في ابن أنيس ﷺ، وقدرته الفائقة لهذه المهمة درسًا لكل القادة في الأرض في حسن اختيار الطاقات والكفاءات للمسؤوليات المناسبة». **[التربية القيادية للغضبان ٣/ ٢٤١، ٢٤٥]**.

ويقول ل/ خطاب: «أما سمات قيادته التي تبدو واضحة للعيان، فهي: الشجاعة الخارقة، والإقدام النادر، «**وكنت لا أهاب الرجال**»، كما قال عن نفسه، ويكفي دلالة على ذلك اندفاعه إلى مشارف مكة وقتل الهذلي بين قومه وأنصاره وحشده، دون أن يكون معه أحد من الناس، بل كان وحده ليس معه غير سيفه.

كما أنه قتل غير الهذلي من أعداء النبي ﷺ والمسلمين، فكان هو الذي يتولى قتل أولئك الأعداء من بين رجال سريته، وإذا كان أفراد السرية من المختارين شجاعة وإقدامًا، فعبد الله ﷺ أشجع المختارين من بين المهاجرين والأنصار والمسلمين كافة في حينه، ومن أكثرهم إقدامًا ومغامرة ورجولة.

لقد كان عبد الله ﷺ قائدًا بطلًا.

يذكر التاريخ لابن أنيس ﷺ أنه كان من المسلمين الأولين السابقين إلى الإسلام، وأنه كان مهاجريًّا أنصاريًّا عقْبيًّا، وأنه أكثر المسلمين قتلًا لأعداء النبي ﷺ والمسلمين والدين الحنيف، وأنه جاهد تحت لواء الرسول القائد ﷺ، وتحت ألوية قادة الفتح الإسلامي العظيم، وأنه كان بطل الأبطال، ورجل الرجال وقمة الفدائيين والمجاهدين الصادقين». [قادة النبي ﷺ لخطاب ١٩٣-١٩٤].

٦ ـ الوقوف على حقيقة المهمة لحسن تنفيذها:

يقول د/ الغضبان: «اختار النبي ﷺ ابن أنيس ﷺ دون مقدمات، ودون تمهيد مسبق، وذكر له كل ما يحتاجه لتنفيذ مهمته، حدد له مكانها بنخلة أو بعرنة، وحدد له أسبابها، وهو جَمْع خالد بن سفيان الهذلي الجموع لحرب محمد ﷺ، وحدد له هدفها، وهو قتل خالد الهذلي.

ويقف الجندي العظيم والعبقري القائد أمام هذه المهمة، يسأل سؤالًا واحدًا فقط، هو الذي يحتاجه لمهمته، كيف يقتله وهو لا يعرفه، لحكمة عظيمة أجَّل ﷺ الإجابة على هذا السؤال، وكان من الممكن أن يتابع حديثه بقوله: «**وآية ما بينك وبينه...**» لكنه وقف ﷺ قاصدًا يؤجل هذه المعلومة المهمة.

قال ابن أنيس: صفه لي يا رسول الله؛ حتى أعرفه، فقال: «**آية ما بينك وما بينه، أنك إذا رأيته هبته، وفرقت منه، ووجدت لَه قشعريرة وذكرت الشيطان**».

فالعنصر النفسي هو الذي اختاره ﷺ علامة له، ولم يصف له صفاته الجسدية أو المعنوية، إنما كان الوصف أعماق عبد الله بن أنيس ﷺ وأغواره في مهمة أول ما تحتاج إلى نفس شجاعة مقدامة، ورباطة جأش عالية تنفذ داخل أرض العدو، وليست مهمة تجسس وانتهى الأمر، بل مهمته قتل القيادة العليا عنده.

وهنا يرد الحديث عن عظمة هذا الاصطفاء النبوي لهذا الطراز الرفيع من الرجال، فعبد الله بن أنيس ﷺ يعلم نفسه من هي، ويعلم أنه لا يهاب الرجال، ويعلم أنه لا يخاف شيئًا قط، لكن كيف عرفها رسول الله ﷺ فيه، فهو معدن النبوة أشرف المعادن في الوجود، وأعلاها وأغلاها، فهو خيار الله من خلقه جميعًا.

ولكن عظمة التربية من جهة أخرى هي التي تعنينا في هذا المقام، فرسول الله ﷺ يريد أن يطامن من اعتداد ابن أنيس ﷺ وثقته، ويريد أن ينزله إلى أرض الواقع في ملاقاة خالد بن سفيان: «**إذا رأيته هبته،**

وفرقت منه، ووجدت له قشعريرة...»، فليس هيبة وانتهى الأمر، كما يهاب المرء من الإقدام على أمر جديد لا يعرف أبعاده، أو هيبة الوهلة الأولى ثم تزول هذه الهيبة، لكن فرقت منه، أي خفت، وكيف ذلك وهو لا يخاف شيئًا قط؟ وليس خوفًا عاديًّا فقط، بل وجدتَ له قشعريرة، إنه الخوف الذي يصل لحد الرعب والفزع، فرسول الله ﷺ يتحدث عن صفات هي أبعد ما تكون عن نفس عبد الله بن أنيس ﷺ ولأول وهلة، استفطم ابن أنيس ﷺ هذا الوصف لشخصه، مع أنه يعد لمهمة ضخمة تتناسب مع شجاعته وكفاءته، ويقول للمصطفى ﷺ: يا رسول الله، ما فرقت من شيء قط، ويعود ﷺ ليؤكد له المعنى نفسه، ولكنه لا ينفي شجاعته، ولا ينفي بطولته، ولا ينفي إقدامه، ولو لم يكن كذلك ما وقع الاختيار عليه، ولكنه التوجيه الرباني والتوجيه النبوي الذي يمضي دائمًا في توازن عجيب بين تفجير الطاقات ودفع الإبداع من جهة، وبين كسر العجب، وتحطيم الغرور، والاعتداد بالطاقات من جهة ثانية». [التربية القيادية للغضبان ٣/ ٢٤٢-٢٤٣].

٧ ـ حكم صلاة الطالب:

يقول د/ بريك: «قال الخطابي في معالم السنن: واختلفوا في صلاة الطالب، فقال عوام أهل العلم: إذا كان مطلوبًا كان له أن يصلي إيماءً، وإذا كان طالبًا نزل إن كان راكبًا وصلى بالأرض راكعًا وساجدًا. وكذلك قال ابن المنذر.

أما الشافعي فشرط شرطًا لم يشترطه غيره، قال: إذا قلَّ الطالبون عن المطلوبين، وانقطع الطالبون عن أصحابهم فيخافون عودة المطلوبين عليهم، فإذا كان هكذا كان لهم أن يصلوا يومؤون إيماءً.

قال الخطابي: وبعض هذه المعاني موجودة في قصة عبد الله بن أنيس ﷺ.

وما نقله ابن المنذر متعقب بكلام الأوزاعي، فإنه قيده بخوف الفوت، ولم يستثن طالبًا من مطلوب، وبه قال ابن حبيب من المالكية.

وقال بدر العيني في عمدة القاري: ومذاهب الفقهاء في هذا الباب، فعند أبي حنيفة: إذا كان الرجل مطلوبًا فلا بأس بصلاته سائرًا، وإن كان طالبًا فلا.

وقال مالك وجماعة من أصحابه: هما سواء كل واحد منهما يصلي على دابته.

وقال الأوزاعي والشافعي في آخرين كقول أبي حنيفة، وهو قول عطاء والحسن والثوري وأحمد وأبي ثور.

وعن الشافعي: إن خاف الطالب فوت المطلوب أومأ وإلا فلا. [معالم السنن للخطابي ٢/ ٤٢-٤٤، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦/ ٢٦٣، وفتح الباري لابن حجر ٢/ ٤٣٦-٤٣٧]. [السرايا والبعوث لبريك ١٦٠].

ويقول الشيخ أبو زهرة: «أُجيز الإيماء بالصلاة للضرورة وفي حال المنازلة إذا خيف فوات الصلاة؛ إذ إن النبي ﷺ قد أقر ما صنع ابن أنيس ﷺ في عبادته في الصلاة، وأقر بما قام به من جهاد».

[خاتم النبيين ﷺ لأبي زهرة ٢/ ٨٠٨-٨٠٩].

٨ ـ جواز الاجتهاد في زمن النبي ﷺ:

يجوز الاجتهاد في زمن النبي ﷺ، فعبد الله بن أُنيس ﷺ أداه اجتهاده أن يصلي هذه الصلاة، ولم ينكر عليه ﷺ، مما يدل على جواز الصلاة عند شدة الخوف بالإيماء.

وهذا الاستدلال صحيح لا شك فيه؛ لأن عبد الله بن أُنيس ﷺ فعل ذلك في حياة النبي ﷺ، وذلك زمن الوحي، ومُحال أن النبي ﷺ لم يطلع عليه.

وفعل الصحابي أيضًا حجة ما لم يعارضه حديث مرفوع، كذا في الغاية.

[عون المعبود للعظيم آبادي ٤/ ١٢٩]. [السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك ١٦١].

٩ ـ الاجتهاد في التطبيقات المماثلة:

يقول الشيخ حوى: «لقد صلى عبد الله بن أنيس ﷺ هذه الصلاة لأنه لو صلى الصلاة العادية لكشف أمره وحيل بينه وبين تنفيذ المهمة التي كلفه بها رسول الله ﷺ، إذ يأخذ العدو منه حذره، فتفوت عليه المفاجأة، وفي ذلك محل تأمل للذين يفتون في عصرنا للبحث عن تطبيقات مماثلة قد يضطر إليها المسلمون في صراعهم الحالي في عالم معقد». [الأساس في السنة وفقهها - العبادات ٣/ ١٤١٥].

١٠ ـ متى يكون القتل بطريق الغدر أو الغيلة؟:

يقول الشيخ أبو زهرة: «إن هذا التوجيه في هذه السرية يتعلق برجل أراد أن يجمع الناس من عرفة ليغزوا النبي ﷺ في المدينة، وهو خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي، وقد تأكد النبي ﷺ أنه قد اعتزم الشر، وأراد القتال، والنبي ﷺ كان يعمل على حسم الشر قبل وقوعه، فإذا كان رجل يجمع ويحرض، وأخذ ينفذ ما شرع فيه يستأصله النبي ﷺ قبل أن ينفذ شره؛ لأن الحذر يوجب ذلك، ولأنه إن يتركه جمع الجموع، وكان القتل في الجمع أكثر عددًا من قتل واحد؛ ولذلك كان يؤثر النبي ﷺ قتل رجل على حرب مع رجال لحماية الأنفس من المحاربين ولو كانوا مشركين؛ فعسى أن يخرج الله تعالى الكفر من قلوبهم، ويستبدل به الإيمان.

وإن ذلك لا يعد القتل فيه بطريق الغدر أو الغيلة؛ لأنه انتدب للقتال، فيجب أن يتوقع أن ينزل به مثل ما يدبر؛ ولأن قتله نجاة لكثيرين، والضرر القليل محتمل في سبيل دفع ضرر أكبر، وأن هذا يدل على أنه بعد أُحد كانت نفوس تحاول التمرد على حكم الواقع تزعم أنها تستطيع القضاء على المسلمين».

[خاتم النبيين ﷺ لأبي زهرة ٢/ ٨٠٨-٨٠٩].

«إن هذا النوع من الاغتيال لم يكن باجتهاد فردي، لم يقم به أحد من أصحابه حماسًا وتطوعًا، وهم قادرون على أكثر من ذلك، إنها دماء لا يجوز الخوض فيها دون الرجوع إلى النبي ﷺ ـ الإمام ـ النص، وإلا فإنها ضرب من التهور غير المبرر». [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٨٩-٢٩٠].

١١ ـ معرفة الأسباب المعينة على تنفيذ المهام:

يقول د/ الشرباصي: «إن العمل الفدائي لا يفلح ولا ينجح إلا إذا نهض على دعامتين هما: الإيمان الديني العميق، والنضال الثابت الرشيد؛ لأن الفدائي يحمل روحه على راحته، ويمضي بها نحو غايته، فإما نصر وإما شهادة، والمنية لدية أخف من الدنية؛ ولذلك كان شعار العمل الفدائي المعاصر: **إنا فدائيون، نفي ولا نهون**، وكأنهم في هذا الشعار قد لمحوا قبسًا من نور الله ﷻ الذي يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران].

ولو رجعنا إلى صفحات الفدائيين في تاريخ الإسلام لوجدناهم قدوة في ثبات العقيدة وتوطد الإيمان، ولوجدناهم أمثلة للإقدام والثبات في الميدان.

ولم يكن هذا العمل الفدائي المتواصل من عبد الله بن أنيس ﷺ قائمًا على قوة العضلات، وجراءة القلب، وقوة العزم، وصلابة الإرادة، وعمق الخبرة بالقتال والنضال، فحسب، بل كان قائمًا مع ذلك أو قبل ذلك على الإيمان الديني الوطيد، وعلى وضوح الرؤية الشاملة لمبادئ الإسلام وتعاليمه، وعلى التعمق في فهم الدين الحنيف». [موسوعة الفداء في الإسلام للشرباصي ١/ ١٦٥، ١٦٩].

ويقول د/ الحميدي: «وفي هذه السرية إشارة إلى الجهد الكبير الذي بذله هذا الصحابي الجليل عبد الله بن أنيس ﷺ في تنفيذ أمر النبي ﷺ حيث قطع وحده مسافات شاسعة، وبالغ في الاستخفاء حتى لا ينكشف أمره، ثم تحيَّن الفرصة المناسبة للقضاء على عدوه حتى قضى عليه وأراح المسلمين من شره وبلائه.

وإذا أردنا أن نتصور عظمة الجهد الذي بذله فلنتصور مشاعره وهو مقدم على أداء تلك المهمة، حيث تكتنفه مشاعر الفرح في حال نجاحه والكآبة والحزن في حال إخفاقه، ثم لنتصور أسوأ الاحتمالات التي سيلقاها مثل أن يواجه خصمه وهو في عصبة من قومه، ثم يكتشف خصمه مراده فماذا يكون موقفه آنذاك؟

إنه وأمثاله من الأطهار الذين تخرجوا في مدرسة النبوة لا يهتمون لأنفسهم إطلاقًا، بل أسمى أمانيهم أن يفوزوا بالشهادة، ولكنه يهتم لموضوع الإخفاق في أداء مهمته، حيث إنه لو استشهد واكتشف عدوه مهمته فإن ذلك سيزيد في إيغار صدره على المسلمين وإغرائه بهم، وهذا يعني أن ابن أنيس ﷺ سيبذل كل طاقته في سبيل نجاح مهمته». [التاريخ الإسلامي للحميدي/ ٢٨].

ويقول د/ الغضبان: «ولا يكفي لمثل هذه المهمة الشجاعة الفائقة فقط، ولا يكفي لها القدم الراسخة في الفقه فقط، فلابد لها من الإضافة إلى ذلك: اللباقة، وحسن الحديث، والقدرة على التأثير على الخصم، حتى يتمكن الفدائي من الوصول إلى المواقع الأولى للعدو، وإلا لو فقد العنصر الثالث؛ لبقي في مؤخرة القوم، وحيل بينه وبين الوصول إلى قيادة العدو، بَله أن يؤثر عليه بسحر حديثه وحلاوة منطقه.

«**فمشيت معه وحدثته، فاستحلى حديثي وأنشدته، وقلت: عجبًا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث، فارق الآباء وسفه أحلامهم، قال: لم يلق محمد أحدًا يشبهني ولا يحسن قتاله**».

فقد ارتفع في ذهن خالد بن سفيان إلى مستواه في الشجاعة والذكاء والعبقرية، فلم يستطع أن يكبح جماح نفسه من طلب الخلوة مع هذا الخزاعي اللبيب الأريب، والشجاع الفذ».

[التربية القيادية للغضبان ٣/ ٢٤٣-٢٤٤].

١٢ ـ من دلائل نبوته ﷺ:

يقول د/ بريك: «كما ظهر في هذا الخبر دليل من دلائل نبوته ﷺ، فهو قد وصف خالد بن سفيان الهذلي لعبد الله بن أنيس ﷺ وصفًا دقيقًا دون أن يراه، حتى إن ابن أنيس ﷺ عندما رد على رسول الله ﷺ متعجبًا كما وقع في رواية الواقدي: «قُلتُ: **يَا رَسُولَ اللهِ، مَا فَرِقْتُ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلَى، آيَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَنْ تَجِدَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً إِذَا رَأَيْتَه**».

وفعلًا وجده على الصفة التي ذكَرَ رسول الله ﷺ، يقول عبد الله ﷺ: «فَلَـمَّا رَأَيْتُهُ هِبْتُهُ، وفَرِقْتُ مِنْهُ، فَرَأَيْتُنِي أَقْطُرُ (عرقًا)، فَقُلتُ: **صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ**». [دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤١].

[السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك ١٦١].

١٣ـ إلهام الإيمان الصادق:

«قال ابن أُنيس ﷺ وهو يحدثه ليرضي غروره: «**عجبًا لما أحدث محمد من هذا الدين المُحْدث، فارق الآباء وسفه أحلامهم**».

وهذه كلمات سامية عظيمة، سُداها ولُحمتها من الحق الصريح البين، فهي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لأنها إلهام الإيمان الصادق، واليقين الراسخ، وتنزيل السكينة على قلب كل مؤمن موطَّد دعائم الإيمان وآيات الإخلاص المستنير بنور الهداية، وهي صريحة في مبانيها، بيِّنة في معانيها، واضحة في حقائقها، ليس فيها من معاريض الكلام ولحنه وتورياته شيء، ولكن جهول هُذيل وجَوَّاظ لحيان بن نُبيح لم يعقل منها إلا كما تعقل الحُمُر من أسفار الهداية والإيمان والمعرفة بالحق والعلم بالله تعالى ورسالاته إلى خلقه، وهي تحملها على ظهورها الدَّبرة، فابتلعها كما سمعها على ما فيها من حميم يهرأ أمعاءه، ويرسله إلى هاوية الفناء والعذاب المقيم، وكلها حق وهدى ونور؛ لأن محمدًا رسول الله ﷺ

أحدث دينًا هو الإسلام دين الحق الذي أرسله الله به ليخرج الناس من ظلمات الشرك والوثنية إلى نور التوحيد وإفراد الله بالعبادة، وهو دين سَفَّه عقول فجَّار الطغاة من عبدة الحجارة والأوثان.

[محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٤/ ٤٧، وقادة النبي ﷺ لخطاب ٧٣١].

١٤ ـ الإبداع [(١)]:

يقول ل/ خطاب: «الإبداع هنا، معناه: سرعة الخاطر في إعطاء القرار الحازم الصحيح في المواقف الحرجة، مع تحمل مسؤولية ذلك القرار مهما تكن النتائج.

وقد كان عمل عبد الله بن أُنيس ﷺ في قتله خالد بن سفيان الهذلي الذي حشد بني لحيان لمهاجمة المدينة إبداعًا متميزًا أدى إلى تشتيت قبيلته، وبذلك قام عبد الله بن أنيس ﷺ وحده مقام قوة كبيرة كان عليها أن تتحرك لمهاجمة بني لحيان، فتبذل جهودًا ووقتًا ومالًا في معركة غير معروفة النتائج.

إن مزية الإبداع من أعظم مزايا القائد القدير». [الرسول القائد ﷺ لخطاب ٢١٧-٢١٩].

١٥ـ كشف عن معالم منهج الرسالة في سرية عبد الله بن أنيس ﷺ:

يقول الشيخ عرجون: «وفي سرية عبد الله بن أنيس ﷺ آيات بينات من جوانب منهج رسالة الإسلام التي ينبغي أن تحتذى في حياة المجتمع المسلم طريقًا للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وإعزاز الأمة الإسلامية في أوطانها المتفرقة، وتفرُّقها المذل.

وقد نثرنا بعض هذه الآيات في عرضنا لأحداث القصة، لنذكِّر بما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم في الدفاع عن كيانه ودينه، وعزته وكرامته، وخصائصه التي كسبها من التربية النبوية له فأصبحت في تاريخه معلمًا تميزه عن سائر الأمم الضالة المتكالبة عليه تريد أن تلتهمه للقضاء على رسالته رسالة الهدى والنور والحق، ولتكون عقبات في طريق دعوته إلى إقامة موازين العدل والتآخي والتراحم، حتى تنفرد ديمقراطيتهم الملحدة الداعرة بالسلطان في الأرض.

فالرسول ﷺ رأى تجمعات الشرك والوثنية تتكاتف لتقف في وجه مسيرة الدعوة إلى الله، وسمع ﷺ عن تجمعات الفجور والكفر حول خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي ثم اللحياني لمهاجمة المجتمع المسلم في عقر داره، فندب عبد الله بن أنيس الأنصاري ثم الجهني ﷺ وحده ليقضي على تجمعات هذا الفاجر الخبيث بالقضاء عليه قبل أن يتعاظم خَطبه ويتفاقم خطره؛ لأن الذين تجمعوا حوله كانوا شراذم من صعاليك العرب وفُتاكهم، لا يحزمهم إلا رباط الفجور، وسفك الدماء ونهب الأموال، وهتك الأعراض، وسوء الأخلاق، وأخبث المقاصد والأغراض.

فاستجاب عبد الله بن أنيس ﷺ لدعاء رسول الله ﷺ لما ندب إليه، وأسرع إلى الصدع بأمره وهو يعلم أنه يخرج فلا يدري هل يحالفه النجح فيما ندب إليه، أم يصادفه الموت فيتخطفه وهو في مسيره.

---

(١) الإبداع: سَبْق العدو بالعمل لإرغامه على تبديل الخطة التي اتخذها وإرغامه للانقياد إلى رغائبك.

وهذا ما يجب أن يكون عليه كل مسلم في حياته، ومن ثم أقبل النصر على المسلمين في سحائب المحن تمطرهم بلاءً وتمحيصًا، فيزدادون على الحياة الجادة إقبالًا يطلبون الموت في مظان الجهاد لنصرة الحق.

وقد كانت شجاعة عبد الله بن أنيس ﷺ الفدائية نسيج وحدها، وكان تصرفه مع هذا الفاجر الخبيث تصرف البطل المؤمن الذي لا يهزه فجور أفجر الفاجرين في مظهرهم ومخبرهم، وكان ﷺ قوي القلب، ثبت الجنان، راسخ اليقين، عظيم الإيمان.

فقد لقي فاجر هذيل، وخبيث لحيان، فلم يأخذه الفزع ولم يروعه الرعب، فماشاه وتحدث إليه، وعرفه بنعت رسول الله ﷺ له، فلم يَفرق منه (إلا برهة)، حتى دخل معه خباءه وأصحابه حوله لا يردون له إشارة، ولا يرجعون إليه همسًا.

ولم يتلبث ابن أنيس ﷺ إلا بقدر أن يسدل الليل ثوب ظلماته على الحياة ويسكن هرج الفجار إلى هدأة النوم، وحينئذ يرى ابن أنيس ﷺ أن فرصته تناديه وأن سيفه يدعوه، وهو أنيسه الوحيد في غربته الفدائية، فيقتل هذا الفاجر الخبيث ويحتز رأسه ويحملها معه في أوبته إلى رسول الله ﷺ، ويقضي على تجميعه وجموعه.

ويستقبل النبي ﷺ صاحبه البطل عبد الله بن أنيس ﷺ استقبال نموذج أعده ﷺ بتربيته البطولية ليكون أسوة في حياة أمته». [محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٤/ ٥٠-٥١].

١٦ ـ تقديم المكافآت والحوافز للقائمين بالمهام العظام:

يقول د/ الحميدي: «إن كل عامل يقدِّم أعمالًا كبيرة أو صغيرة فإنه ينتظر جزاءها، فأهل الدنيا يحصلون على جزائهم بالمكافآت المادية أو المعنوية، لكن الصحابة ﷺ وسائر المتقين لا ينتظرون جزاء في الدنيا، ولو حصلوا على شيء من ذلك فإنه لا يُعتبر عندهم شيئًا كبيرًا، وإنما ينتظرون جزاءهم في الآخرة.

ولهذا كانت مكافأة هذا البطل العظيم التي غبطه عليها الصحابة هي تلك العصا التي ستكون علامة بينه وبين النبي ﷺ يوم القيامة، وهذا يعني أن ذكره سيرتفع في الآخرة.

وهكذا كافأه النبي ﷺ هذا الجزاء العظيم الذي تهون أمامه الدنيا بأسرها، وهل أعظم جزاءً من أن يعده النبي ﷺ بملاقاته يوم القيامة؟! وهل كانت أماني الصحابة التي كانوا حولها يدندنون إلا أن يكونوا مع النبي ﷺ في الجنة؟!». [التاريخ الإسلامي للحميدي٦/ ٢٨-٢٩].

«وكان الوسام الخالد الذي أهداه رسول الله ﷺ لجنديه العظيم من أرفع الأوسمة في الأرض؛ لأنه أخذ إجازة الخلود في الجنة.

لقد كانت البشارة في الجنة ثمنًا لهذه المهمة الكبرى، وكانت العصا التي ترافقه في الجنة علامة بينه وبين رسول الله ﷺ في دار الخلود، ومن أجل هذا لم ينس أبدًا أن يأخذها معه إلى الدار الآخرة».

[التربية القيادية للغضبان ٣/ ٢٤٥].

«وهكذا لم تكن المكافأة على هذا العمل العظيم الجريء مادية دنيوية كما يتمناه الكثير ممن يقوم بالمهمات الصعبة في جيوش العالم قديمًا وحديثًا، بل كانت أسمى من ذلك وأعظم، فهي وسام شرف أخروي قليل مَنْ يناله». [السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك ١٥٩-١٦٠].

١٧ ـ حديث المخصرة:

وقد استحسن البعض المخصرة والتخصر لأجل هذا الحديث.

قال الجاحظ: ومما يدلك على استحسانهم شأن المخصرة حديث عبد الله بن أنيس ﷺ ذي المخصرة، وهو صاحب ليلة الجهني، وكان النبي ﷺ أعطاه مخصرة، وقال: تلقاني في الجنة.

[البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ١١-١٢].

١٨ ـ جواز حمل الرؤوس إلى الولاة:

سبق تفصيله في دروس غزوة بدر الكبرى (المرحلة الثالثة).

١٩ ـ جواز القتال في الأشهر الحرم:

سبق تفصيله في دروس سرية عبد الله بن جحش ﷺ إلى نخلة ٢ هـ.

٢٠ ـ انهيار عزائم الأعداء المتربصين بالدولة الإسلامية في المدينة:

يقول أ/ باشميل: «بهذا العمل وفر الفدائي الجُهني على المسلمين مشقة القيام بحملة عسكرية كاملة لتأديب تلك القبائل، فقد انهارت عزائم قبائل هُذيل بقتل قائدها وزعيمها، وتفرقت جموعها المحتشدة؛ لأنها رأت أن لا فائدة من غزو المسلمين.

وهكذا قام الفدائي البطل عبد الله بن أُنيس ﷺ مقام جيش بأكمله». [غزوة الأحزاب لباشميل ٢٩].

٢١ ـ ثأر هذيل لمقتل خالد بن سفيان:

لقد ثارت هذيل لمقتل صاحبها، فأعانت على أصحاب رسول الله ﷺ في حادثة الرجيع، وكل عملية عسكرية لها عقابيلها، والعبرة بالمحصلة النهائية لأي عملية على المستوى المرحلي أو المستقبلي، لقد كان إجهاض التحرك العسكري الذي يقوده خالد بن سفيان الهذلي أهم بكثير من أية عملية ثأرية.

[الأساس في السنة ـ السيرة لحوى ٢/ ٦١٤-٦١٥].